نـافـذة

جرائم الحرب الأثرية

خلال السنوات الماضية من عمر الأزمة المريرة التي مرت على سورية، أعربت هيئات ومؤسسات وحكومات ومنظمات دولية كثيرة عن قلقها العميق والمؤسف لوضع الآثار، والمواقع والأوابد في سورية، وما تعرضت له من تدمير وسرقة ونهب.. لقد ارتفعت الأصوات، وعقدت ندوات ومؤتمرات، وقدمت وثائق وحقائق لا يرقى إليها الشك عن حال صعب ومرير لمواقع تعد من أغنى وأهم وأقدم مواطن الآثار في العالم القديم.. وكانت المطالبة باتخاذ سبل الحماية والصيانة لإرث حضاري وثقافي إنساني لا يقدر بقيمه، ولكن بكل أسف، ذهبت هذه الدعوات والنداءات في مهب الريح، ولا حياة لمن تنادي؟!!

لقد تعرض نحو ٩٠٠ موقع أثري إلى أضرار بالغة، وقد توزعت هذه الأضرار على مواقع في محافظات حلب ودمشق والرقة ودرعا ودير الزور وحمص وحماة وإدلب والحسكة، وشملت هذه الأضرار عمليات النهب والتدمير والتهريب والنقل إلى الأسواق الخارجية عن طريق تركيا والأردن وحتى لبنان.. في إطار خطة مبرمجة قامت بها عصابات و«مافيات» متخصصة بسرقة الآثار وتهريبها وبيعها في مزادات، ولشخصيات عالمية معروفة بسمعتها القذرة في هذا المجال، واعتبر هذا الفعل المشين كارثة كبيرة وجسيمة بحق التراث الإنساني، من منطلق أن تراث سورية لا يتعلق بسورية وحدها، بل بتراث كل إنسان على وجه الأرض.

التنديد الدولي، والعالمي، على أهميته، لم ينفع، ولم يخفف من وقع المصيبة، ولا من الأعمال الهمجية، ولا من جرائم الحرب الأثرية، ولم تتم معاقبة مرتكبيها على أفعالهم، حيث لم ترد الدول على ما نددت به المديرة العامة لليونسكو «إيرينا بولوفا» التي وصفت ما حدث في سورية بـ«جريمة حرب وخسارة جسيمة للشعب السوري والإنسانية، ويجب معاقبة مرتكبيها على أفعالهم».. كما لم يرد أحد على دعوة الأمين العام للأمم المتحدة للتحرك سريعاً لإنهاء هذه الأعمال الإرهابية..

عالم آثار فرنسي كبير، طلب مني ألا أذكر اسمه، قال لي بالحرف: «الكثير من آثار سورية، ذهبت من غير رجعة، حيث إن عصابات الآثار قطعوا رؤوس التماثيل التي لم يتمكنوا من إخراجها كاملة، وقاموا بجمعها بعد تهريبها، وعرضها في المزادات العالمية».. وهناك من قام بتجريف مواقع أثرية كاملة بطريقة بدائية، بهدف الحصول على الذهب والفضة وقطع الآثار، وهم بذلك قاموا بتدمير وتخريب الموقع الأثري بكامله، كما حدث في عملية تجريف موقع القصر الملكي في مدينة ماري (تل الحريري) الواقعة على الفرات الأوسط قرب بلدة البوكمال.. هذا القصر، الذي كانت تعد بقاياه من أهم القصور في الشرق القديم، وتبلغ مساحته نحو ٢٥,٠٠٠ م٢ ويضم أكثر من ٣٠٠ غرفة، وفيه مدارس وقاعات لتعليم الموسيقا، ويعود تاريخه إلى الألف الثاني قبل الميلاد.. لقد جرفت بقاياه ومعالمه الأثرية، وأصبح نسياً منسياً، وضاعت معالمه، وأصبح كأنه لم يكن.

مسلسل سرقة ونهب وتخريب الآثار السورية في المناطق الواقعة تحت سيطرة العصابات المسلحة، ما زال مستمراً.. وما تزال هذه الجريمة النكراء، ترتكب بحق تراث وإرث الأجداد، ولا يكاد مزاد للتحف والقطع الأثرية في بريطانيا وفرنسا وأميركا يخلو من قطع أثرية مسروقة من الأرض السورية.. لقد نقلت الأخبار معلومات عن آثار هربت من مدن الكتلة الكلسية، في محافظة إدلب- وإبلا (تل مرديخ) ومسكنة وجرابلس، والجزيرة السورية، وحوض الفرات وتدمر وصالحية الفرات (دورا أوروبوس) وأفاميا وغيرها.. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حجم الكارثة التي تعرضت لها هذه المواقع النادرة الوجود في العالم، والتي كانت سورية تستعد لتسجيل بعضها في عداد الممتلكات الثقافية والتراثية لدى منظمة «اليونيسكو» لما فيها من خصوصية عالمية، ولما تحتوي من سمات أثرية وتراثية إنسانية عالمية، قل وجودها في أي مكان آخر من العالم.

د. علي القيم

محدثو النعمة عبر العصور صور متشابهة ونتائج كارثية

مشروع التخرج «تكرار»... نجاح جماعي وعدم استعراض لملكات الفرد

عامر فؤاد عامر
تصوير: طارق السعدوني

يقول الفيلسوف اليوناني «أرسطو» في فلسفته: «العادة وليدة التكرار» فهل أراد عرض «تكرار»، وهو مشروع التخرج لطلاب السنة الرابعة في المعهد العالي للفنون المسرحية، أن يدور في فلك مقولة «أرسطو» يا ترى؟!. المشروع اعتمد على نصّ «المتحذلقات السخيفات» للمسرحي الفرنسي «موليير»، ليقدّمه الفنان «بسام كوسا» بإشرافه على ٩ من هؤلاء المرشحين لنيل إجازة في التمثيل.

الخريجون مع مشرفهم الفنان بسام كوسا

بين محددة ومشتركة

يؤدي الطلاب نصّ المسرحيّة، بطريقة محددة مشتركة، فقد تمّ العمل على انتقاء طريقة للتعبير في ذلك الأداء، تُعدّ من أسهل أدوات التمثيل على المسرح، واعتمدت الطريقة على الحركات الخارجيّة بالاعتماد على تفاصيل خاصّة بكلّ شخصيّة. فمن جانب استطاع هنا الممثل أن يوصل لنا ما يجب عليه إيصاله بسهولة، أمّا الجانب الذي خسرناه فهو رؤيتنا لمدى جديّة واجتهاد كلّ طالب أو ممثل في البحث عن تفاصيل الشخصيّة الموكلة إليه، وهذا الأمر تساوى فيه جميع طلاب العرض، فقد وفقوا في تقديم الشخصيّة للمتلقي بسهولة، لأن الطريقة المعتمدة في الأداء سهلة، وبالتالي نصل لكلمة «مشتركة» التي بدأت بها مطلع الفقرة، والقصد منها أن الطلاب نجحوا أيضاً في محاولة الانسجام في عمل جماعي مشترك، من خلال طريقة الأداء تلك التي اعتُمدت، وهنا لاحظنا انسجام الجمهور معهم في مشاهد كثير، فكانوا بمستوى واحد تقريباً ونجحوا جميعاً، أمّا على صعيد فردي فلم نلامس المقدرات التمثيليّة الخاصّة في أي منهم تقريباً.

لماذا التكرار؟

نأتي للنصّ المُقدّم، المأخوذ عن المتحذلقات السخيفات لـ«موليير»، وهو نصّ يحمل من المباشرة ما هو كاف ليكتشفه أي قارئ، والنصّ في العرض «تكرار» كان أيضاً غير بعيد عن المباشرة، وبالتأكيد هذا الفعل مقصود ومحسوب، وليس هفوة نلوم بها المشرف على العرض أبداً، لكن أن نوضح شيئاً هو في الأساس واضح، فهو أمر يحتاج للتأني قليلاً. من ناحية وصلت الفكرة بسرعة للمتلقي ولا بدّ هنا من التأكيد على أن المتلقي للمسرح في سورية لا يستهان بذكائه ومقدرته على التمييز، ومن ناحية أخرى يبدو أن الفتاة التي افتتحت العرض بكلماتها الرتيبة المتكررة – المقصودة من كلّ بدّ – لتخدم فعل التكرار، كانت شديدة التوضيح، ورمت مقولة العمل وما يجب أن يقوله العرض منذ البداية، فالكلمات الرتيبة التي كرّرتها في البداية حكت لنا كلّ ما في بطن المسرحيّة وجوهرها، ولا أعتقد أنه من الضرورة لهذا الأمر، فعنصر المفاجأة والبحث عن الجديد لا بدّ أنه عنصر أكثر تشويقاً من نسفه مع البداية. لكن تعليقي يزداد عمقه بملاحظة اختتام المسرحيّة بنفس الطريقة، فعادت الفتاة تتحدث بنفس الأسلوب الرتيب والطريقة المباشرة للأسف. وهنا الخلاصة؛ إن كان هذا التقديم والختام يخدم كلمة التكرار، فهو قولاً واحداً لم يخدم جمال العرض المسرحي في عنصر المفاجأة والتلهّف لاستقبال الأحداث فيه، لاسيما وأن الأحداث ونسيجها بسيط جداً، فهكذا هو النصّ «نصّ موليير» في أساسه. كما كان كافياً إشارة الفنان «بسام كوسا» بإصبعه للجمهور بمعنى أن هذا العرض يشبهكم، وكانت حركة جميلة جداً منه، بل أفضل بكثير وأكثر جمالاً من التقديم والختام باستخدام كلمات مكرّرة تكشف الغاية من المسرحيّة وأين تنتهي وتصب.

طلاب اجتهدوا وتميّزوا

نجح الطلاب في الانسجام مع العرض والغاية منه، وقدّم كلّ منهم ما يمكن لأي متلق أن يقبله، ويتفاعل معه، فهناك جهود لا يمكن إغفالها ولاسيما دور «مجدي المقبل» واللعب على الصوت، والمقدرة في التعامل مع الجميع، ومحاولة التوازن في العلاقة مع الآخر، وعملت «مروى الأطرش» على مجاراته، وضبط الفعل، والصوت، لتكون كلّ شخصيّة من الشخصيّات الثلاث الموكلة إليها منفصلة، ومختلفة عن سابقاتها إلى حدٍّ كبير، وكانا كثنائي منسجمين مع بعض، وخفيفي الظلّ، بل شوّقا الجمهور بهذا الأداء. كذلك الثنائي «معن حمزة» و«بلال مارتيني» اللذان حازا على إعجاب الجمهور، وكان واضحاً أنهما حققا انسجاماً وبناءً ناجحاً في أسلوب متبادل، واستطاعا قيادة العرض بلعبة لطيفة مميّزة. ولا يمكن نسيان جهود «مروان خلوف» في الحقبة الزمنيّة الثانية، فلعب دور الشاب الشجاع، والمُحبّ، والعاشق، وأثّر بقوّة في المتلقي، برسم تفاصيل الشخصيّة بحذر وانتباه مدروسين، وكانت شريكته «سيرينا المحمد» المجتهدة، قد ساهمت بمقدرتها في إظهار شخصيّة الخادمة في حقبتين متلاحقتين، بطريقة رشيقة، فلم تشبه إحداهما الأخرى أبداً، بل يمكن القول إنها مسكت روح الكوميديا جيداً وبإتقان، إضافة الى «سهير صالح» وشريكتها «لمى بدور» اللتين جسّدتا أدوار الفتيات السخيفات، من محدثي النعمة، بتفاصيل وافية وحقيقيّة، و«أديب رزوق» في تعاطيه المتوافق مع المساحة الممنوحة لكلّ الشخصيّات التي قدّمها، باهتمام، وتأنٍ.

مجدي المقبل ومروى الأطرش

عناصر ناجحة

تميّز العرض بسينوغرافيا موفقة، فكان الانتقال من عنصر زمني إلى آخر انتقالاً سلساً، لم يحمل أي صعوبة، بل حمل ذكاء في تطويع الديكور لذلك الانتقال، ولاسيما الحقبة الزمنيّة الأخيرة التي منحها السينوغراف «علي فاضل» اللون الأزرق السماوي، الفاتح، معدوم الملامح، فلا تفاصيل فيه، ويشبه حياتنا الحاليّة إلى حدٍّ كبير، وهي غمزة فنيّة ساخرة، كان موفقاً بها إلى حدٍّ كبير، كما خلق جوّاً يشبه شكل الأشخاص إلى حدّ ما ودواخلهم. وجاءت الموسيقا بإيقاعٍ متناسب، وبإضافة جيدة جداً في كلّ الانتقالات الزمنيّة، وشكّلت عنصراً متكاملاً مع الصورة الإجماليّة للعرض.

> مغامرة بعيدة عن الملل أشرف على نجاحها بسام كوسا

تساؤلات واقتراح

يبقى لدي بعض من التساؤلات التي تتعلق في الحقبة الزمنيّة الأخيرة التي كان من المفترض أن تشبهنا إلى حدٍّ كبير، لكن عندما يدخل صاحبا اللعبة ويكشفان أنهما نالا من الفتاتين السخيفتين، لم يكن المشهد يشبه واقعنا الحالي، فلا أعتقد أن محدثي النعمة في وقتنا الحالي ستكون ردّة فعلهم بهذا الشكل الغريب، بل ربما تثور آلاف ردّات الفعل، ويتفنّن البعض في إثارة العفن الذي تربى عليه، فلا يمكن للكلمة أن تجرحه، ولن تختلج مشاعره بصدمة يقوم بها أحدهم بالمستوى نفسه الذي قدّمه العرض، إذ إن محدثي النعمة اليوم باتوا أكثر نفاقاً بين بعضهم، ومع أنفسهم، وزادوا استهزاء بالحياة، وهذا المشهد برأيي لا ينطبق مع واقعنا اليوم بل ينطبق مع واقع النصّ الموليري المستمد منه العرض. ويمكن اقتراح حل مناسب أكثر بأن تكون المفاجأة والدرس من خلال مسح أو رسالة صوتيّة في وقت الاستعداد للسفر، مع عدم حضور أصحاب اللعبة والمقلب بالكامل، وبذلك تكون الصدمة أكبر لهؤلاء وحجم الإزعاج يليق بهم، لذلك وجدنا هوّة واضحة في المشهد الأخير بين الطلاب، فهم أيضاً غير مقتنعين بصناعة تلك النهاية إلى حدٍّ ما، ويبقى ذلك اقتراحاً فيما لو أحببنا أن تكون الحال الزمنية الأخيرة تشبه حالنا.

بطاقة شكر

نقول في النهاية، إن لوحة من الجمال والاجتهاد قُدّمت على مسرح «سعد الله ونوس» في المعهد العالي للفنون المسرحيّة، خلال طقس تفوقت درجات الحرارة العالية فيه، أكثر من أي يوم من أيام الصيف التي قضيناها، وأشرف على العرض وأخرجه، الربّان الماهر «بسام كوسا»، وكان المرشحون لنيل إجازة التمثيل هذا العام هم: «أديب رزوق»، و«بلال مارتيني»، وسهير صالح»، و«سيرينا المحمد»، و«لمى بدور»، و«مجدي المقبل»، و«مروى الأطرش»، و«مروان خلوف»، و«معن حمزة». أمّا المشاركون المساعدون في إنجاح العرض فكانوا من طلاب السنة الثانية، والثالثة في قسم التمثيل، ومن طلاب السنة الثانية في قسم الرقص، وآخرون لا يسعنا إلا شكرهم من موسيقيين، وفنيين، وكوادر ساهمت في إنجاح اللوحة، وتقديمها بما يليق، فلا يزال المعهد العالي للفنون المسرحيّة، بعروض طلابه، هو البوصلة المسيطرة على المسرح السوري في أيامنا هذه، وفي السنوات الأخيرة.

الشّارات الغنائيّة تسرق شهرة مسلسلاتها والمطربون العرب ينافسون السّوريين بغنائها

مادلين جليس

ولأنّ الموسيقا تعبيرٌ عن مكنونات الروّح، ولأنّها طريق أقرب للكلمات، فقد أخذت مكانها الصحيح، سواءٌ في الأغنيات أم في المسلسلات، التي باتت الموسيقا أو كما تسمى الشارة الغنائيّة، تشكّل جزءاً مهماً من العمل الدرامي، وخاصةً أن المسلسلات السوريّة باتت في المواسم الأخيرة تدخل منافسةً كبيرة على كلّ الصعد، فهناك جائزةٌ لأفضل ممثل أو ممثلة، وجائزة لأفضل تصوير، وأخرى لأفضل شارة غنائيّة، وكلّ جزء من العمل الدرامي هو عاملٌ مهمٌ ومساعدٌ في نجاح هذا العمل وشهرته، أو في عدمهما.

ومن الملاحظ أنه وفي عددٍ غير قليل، من الأعمال والمسلسلات السوريّة، استأثرت الشارات الغنائيّة بنصيبٍ وافرٍ من الشّهرة والنّجاح، وأصبحت تسمع من دون المسلسل الذي صنعت لأجله، وقد يقول قائلٌ إن هذه الشّارة أو تلك حصدت نجاحاً كبيراً فكانت السّبب في شهرة العمل ونجاحه، فما الدّور الذي تؤديه الشّارة للعمل الدّرامي، وإلى أي حدٍ قد تكون عاملاً مسوّقاً له ولشهرته؟

الشهرة نتيجة لنجاح المسلسل أم لنجاح شارته؟

يقول الملحّن والمؤلّف الموسيقيّ سعد الحسيني: «الشّارة الغنائيّة لمسلسل درامي، هي مقدّمةٌ -موسيقيّةٌ أو غنائيّةٌ- لانتقال بالمُشاهد إلى زمان ومكان الحدث الدّراميّ، وعليها ألا تنفصل عن الموسيقا التّصويريّة للعمل الدّراميّ المرتبط بها، وأن تحمل هويّتها نفسها، ولغتها السّمعيّة، ورسالتها الفكريّة».

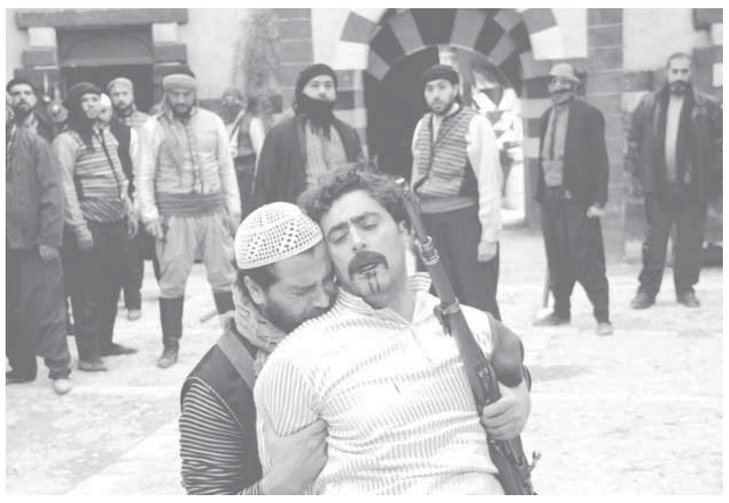

خاتون والشارة لمحمد المجذوب

ومّما هو ملاحظٌ أن الأعمال التي تشتهر شارتها، وتنتشر بين الجمهور، يكون لها نصيبٌ من المشاهدة أكبر من غيرها، فهناك الكثير ممن يرون أن الشّارة قد تكون سبباً في شهرة العمل وانتشاره، وآخرون يرون أن العمل بممثليه ومحتواه، هما العنصر الكبير في شهرته، أو شهرة شارته، وفي ذلك يقول المخرج علاء الدّين كوكش: «شارة المسلسل أحياناً تحمل جزءاً من نجاح العمل، خاصّةً إذا كان الصّوت جميلاً، وكان المطرب له شهرةٌ كبيرةٌ، فبالتّالي هذا العامل يساهم في شدّ المشاهد للمسلسل، ولذلك نحن نقول إن الشّارة هي مدخلٌ للمسلسل، وبعد ذلك يتوقّف النّجاح على مضمون العمل، إن كان جميلاً ولافتاً أم لا».

أمّا المخرج تامر اسحق، فيرى أن العمل كلٌ متكاملٌ، وأنّ نجاح العمل أو إخفاقه هو مسألةٌ مرتبطةٌ بكلّ عنصرٍ فيه، سواءٌ بالممثّلين، أم بالمخرجين، أم بشارة العمل فيقول: «أنا أرى أن العمل، كلٌ متكاملٌ بدءاً من الشّارة، إلى الممثّلين إلى القائمين والفنّيين في العمل، من الممكن أن يوجد أحياناً مسلسل له شارةٌ جميلةٌ، لكنّه في المضمون غير مقبول، فهنا لن يكون للشّارة أي دورٍ في شهرة هذا العمل، أو تقبّله لدى النّاس، وبالعكس، حين يوجد مسلسلٌ جميلٌ ليس له شارةٌ تقدّمه بشكلٍ جميل، فهنا يوجد نقصٌ، ولكن حينما يكون العمل قوياً وجميلاً وشارته جميلةٌ لافتة، أو كما يُقال ضاربة، فهنا تتكامل العوامل التي تؤدّي إلى نجاح هذا المسلسل، قد لا يكون هناك غناء، أي موسيقا فقط، كما في مسلسل خاتون، الجميع لاحظ أن الموسيقا تغلب على الغناء في شارة هذا المسلسل، ومع ذلك فقد لاقت استحساناً لدى الكثيرين».

العراب والشارة لعاصي الحلاني

ويرى الملحن والموسيقيّ سعد الحسيني ما رآه المخرج تامر إسحق، من تكامليّة العمل الدّرامي، وأنّ العمل الذي تتحقّق شهرته بفضل شارته هو عملٌ فاشلٌ فيقول: «يفشل المسلسل الذي تحقّق له شارته الشّهرة والنّجاح، والعكس صحيح، فأنا أؤمن بأن العمل جماعي، والجميع يعمل فيه، بكلّ جهد وعناية ودقّة، من أجل تقديم أفضل ما لديهم، لمصلحة هذا العمل الدّرامي والتّوفيق من الله».

شارات المسلسلات السّورية بأصوات عربيّة

ومع كثرة المطربين السّوريين، وتميّزهم، وجمال أصواتهم، فإن للمطربين العرب النّصيب الأكبر من شارات الأعمال الدّراميّة السّورية، فقد غنّى النجم آدم شارة مسلسل عناية مشدّدة، الذي حصد نجاحاً كبيراً، كما حصدت شارته تلقيّاً واسعاً في الأوساط السّوريّة على مختلف شرائحها، وغنّى النجم ملحم زين شارة مسلسل أهل الرّاية، ومن ثمّ غنّى شارة مسلسل طوق البنات بأجزائه الثّلاثة، كما كان للمطرب عاصي الحلاني نصيبٌ أيضاً من شارات المسلسلات السّورية، فقد غنى شارة مسلسل الشّام العديّة، كما غنّى شارة مسلسل العرّاب الذي شارك في تمثيله، وغنى نادر الأتات شارة مسلسل بنت الشّهبندر، كما غنى أيمن زبيب شارة مسلسل الدّبور، وكان للمطرب آدم عودة حضوره للشّارة السّوريّة فقد غنى شارة مسلسل صدر الباز.

ويبدو أن المخرجين والمنتجين السّوريين باتوا يتّجهون للأصوات العربيّة لأداء شارات المسلسلات السّورية ولكن السؤال الذي لابدّ من طرحه هنا: ما السّبب وراء هذا الاتّجاه السّوري للأصوات العربيّة عموماً، واللّبنانيّة خصوصاً، مع العلم أن الأصوات السّورية الجميلة والرّائعة غير قليلة، ولا يختلف اثنان على شهرة المطربين السّوريين في أنحاء الوطن العربي والعالم؟

المخرج تامر إسحق الذي أخرج مسلسل صدر الباز، ومسلسل خاتون، يتحدث مجيباً عن هذا السّؤال فيقول: «القضيّة باختصارٍ شديدٍ أحياناً تتّجه نحو النّجوميّة، فكما يتطلّب العمل نجوماً ممثلين، فكذلك شارته تتطلّب نجوماً غنائيّة، أصواتاً لها شهرة، ولها جمهورها بين النّاس، وطبعاً هذا الشّيء ليس محصوراً بالمطربين العرب، أو أنه مقتصر على المطربين السوريين، ففي مسلسل صدر الباز كان النّجم الذي غنّى شارة العمل هو المطرب العربيّ آدم، ولكنّي حين أخرجت مسلسل خاتون غنّى شارته النّجم محمد مجذوب، وهو صوت سوريٌ مشهورٌ وجميلٌ، وليس هناك علاقة إن كان العمل بيئة شاميّة أم لا، ولكن هناك علاقة إن كان الصّوت مناسباً لشارة العمل أم لا، وكما قلت سابقاً العمل يحتاج إلى نجوم في شارته كما يحتاج إليهم في تمثيله وأدائه».

ولكن للمخرج علاء الدّين كوكش رأياً آخر فيقول: «إنّ هناك عدّة أسباب لهذه العمليّة، فقد تكون الشّهرة أحد هذه الأسباب، أي شهرة المطرب الذي يكلّف ويسند إليه غناء شارة عملٍ ما، وقد يكون السّبب الثّاني هو المحطّات المنتجة التي تطلب أصواتاً معيّنة، فلذلك هم يتّجهون نحو الصّوت الرّائج، والمشهور، والذي يحقّق نسبة نجاحٍ مطلوبة للعمل».

شارة العمل أو ممثلوه أو مخرجه أو حتّى كاتبه، كلّها عواملٌ تتحد في كلٍّ متكاملٍ في سبيل إنجاح مسلسل يُعرض ويَلقى النّجاح المطلوب.

ومهما يكن الصّوت الذي غنّى شارة هذا العمل أو ذاك، فإن الرّوح السّورية التي تشكّل العمل كله، وتعمل على نجاحه، هي العامل الأول والأخير في وصول المسلسل أو شارته إلى جمهور المشاهدين وانتشارهما على المدى الأوسع.